نشاط الحركة الوطنية في منطقة الساورة

(1940–1954)

أ.بوبكر بن علي، جامعة بشار

مقدمة:

يتحدد إقليم الجنوب الغربي بمعالم طبيعية واضحة تتمثل في السفوح الجنوبية للسلسلة الأطلسية شمالا، وهضبة درعة غربًا، و إيجيدى وعرق شاش جنوبا يتميز السطح بالرتابة والاستواء، ويمتد الإقليم على مساحة 780.000 كلم^2، وتتكون المرتفعات من تلال يصل ارتفاعها 400م ذات صخور صلبة لم تتأثر بالتعرية، كما تتمثل في بقايا سلاسل جبلية على جانبي واد الساورة، مثل سلسلة بشار 1206م ومرتفعات لوقارتة 902م، ثم حمادة درعة 990 م، و هي هضبة جيرية مائلة من الأطلس إلى الصحراء، وتلتحق بهضبة تندوف، وجبل قروز 1835م وجبل عنتر1953 م شمال بشار.

بدأت الطلائع الأولى للقوات الاستعمارية تصل إلى المنطقة مع بداية النصف الثاني للقرن التاسع عشر، ففي يوم 11 يناير1855 وصل النقيب الفرنسي "دو كولومب" De Colomb إلى منطقة بشار حيث اشتبك مع سكانها، وعاد مرة ثانية يوم 18 مارس 1857 إلا أنه فشل كذلك، وبعد أن استعصت عليه عملية التوغل، تكونت حملة فرنسية أخرى بقيادة الجنرال "ومب فن" Wimpffen التي استهدفت قصر بوكايس، وهو قصر من قصور شمال بشار حيث تم الاستيلاء عليه يوم 08 أبريل 1870. وبعد يومين وصلت القوات الاستعمارية إلى القنادسة ثم نزل الجنرال الفرنسي إلى واد قير ليشتبك مع سكانها في (معركة العبادلة)[1] يوم 14 أبريل 1870 إلا أنه أخفق في الاستيلاء على المنطقة، فقد تصدى له 900 شخص من بينهم 300 فارس، ولما انكسرت قوات الجيش الفرنسي رجع إلى منطقة الزريقات ثم إلى وهران.

أصول الحركة الوطنية في منطقة الجنوب الغربي:

تميز نشاط الحركة الوطنية بالسرية في البداية كما جاء في تقرير (الإدارة الاستعمارية)،[2] وقد ظهرت البوادر الأولى للنشاط السياسي في المنطقة منذ فترة الثلاثينات من القرن المنصرم، ويعود ذلك إلى التجمع العمالي المكثف في المؤسسات التي تنشط في ميادين الاستخراج، النقل، التنقيب، كما استفاد رجال الحركة الوطنية في المنطقة من تواجد كل التيارات السياسية، بتدعيم تجربتهم النضالية وكذلك استغلال وتوظيف هذه الهيئات لصالح النشاط السياسي بالانخراط في مجالس ومكاتب نقابات وأحزاب فئات العمال الأوربيين الوافدين من بلدان مختلفة، ومما يمكن ذكره أن كل الاتجاهات السياسية كانت متواجدة في المنطقة سواء أكان ذلك عند الجزائريين أم الأوربيين، وتجلى ذلك في النشاطات المتعددة ونظرا لوجود خلايا منظمة في التجمعات السكانية ففي الأوساط الأوربية نجد الأحزاب التالية: (R. P. F. – P. C. A.- S. F. I. O.)[3]– من بين المعمرين نجد الإسبان الذين هربوا من الحرب الأهلية 1930 – 1945 وخاصة النشيطين في المجال السياسي، وعمالا من روسيا وبولونيا في شركة سكة الحديد. كما نجد مجموعة النقابيين من منطقة الجنوب الغربي الذين يعدون من مؤسسي نجم شمال إفريقيا في باريس منهم النقابي "مقرورش" و"سعدون"[4] من بني عباس.

كانت الشركات الفرنسية تستغل مناجم الفحم استغلالا مفرطًا، لاستنزاف طاقات العمال استنزافا مبالغًا فيه، مما اضطر العمال إلى الانخراط في نقابات تدافع عن حقوقهم المسلوبة، ويمثل هذا الأمر قفزة نوعية في تبلور الوعي النضالي لدى هؤلاء العمال، فنجد حزب التجمع الفرنسي(R.P.F.) يضم ثلاث وحدات في بشار، بني ونيف، القنادسة، يضم ما يقارب 200 مناضل فيهم عدد لا بأس به من الجزائريين ومن قدماء العسكريين، والحزب الآخر وهو حزب اشتراكي (S. F. I. O.) [5] ويعد الأقدم والأنشط في المنطقة، إذ أن أعضاءه غالبا ما يتقدمون للإدارة بوصفهم ممثلين نقابيين يدافعون عن العمال، ويطالبون بحقوقهم التي كانت دومًا مهضومة، ومن أبرز قادة هذا الحزب" موزيكوناكسي" Mozziconacci.

ونظرا للتواجد المكثف للعمال الجزائريين في المؤسسات الصحراوية حيث وصل عدد الذين تداولوا على العمل في مناجم الفحم أكثر من 30 ألف عامل، إضافة إلى عشرة آلاف أوربي مما أدى إلى تكوين تكتلات سياسية ونقابية ساهمت في تنظيم إضرابات عديدة أهمها إضراب عمال مناجم الفحم (أبريل 1950)[6].

بدأت الحركة الوطنية في تكوين الخلايا و تنظيمها سنة 1942، ومما زاد في نشاطها توافد عدد كبير من الزعماء إلى المنطقة بسبب النفي أو الاعتقال، ومنهم من جاء مكلفا من الهيئات العليا بالعاصمة لمتابعة تأسيس الخلايا وربطها وطنيا، ومن بينهم "محمد الممشاوي" الذي كان في تبلبالة ثم بني عباس، وهو أحد المناضلين المنخرطين في حزب الشعب فقد ربط العلاقة مع الشيخ بن التهامي أحد أعيان بني عباس. وفي سنة 1941جاء "قادة بوطارين" وهو أحد المناضلين البارزين في حركة انتصار الحريات الديمقراطية، وبدأ ينشط في المنطقة ويلتقي بالشباب كما نجد "فرحات عباس" و"عبد القادر السايح" و"الصديق التاوتي".

النضال النقابي:

توجه العمال إلى النقابات للدفاع عن حقوقهم المهدورة، ولعل أهمها يتمثل في النقابتين الأساسيتين الكونفدرالية العامة للعمال C. G. T ونقابة القوة العمالية (F . O)[7] وأضحت النقابتان الواجهة المعبرة عن مشاكل العمال ومصدر طموحاتهم، كما وظفت الحركة الوطنية النقابات لنصرة المشروع الوطني.

1- الكونفدرالية العامة للعمال C. G. T:

بدأت تنشط بشكل بارز منذ 1941، وهو تاريخ إنشاء شركة- بحر- النيجر- Mer Niger، وتطور نشاطها في سنة 1947 و1949 وهي مرتبطة بنقابة القطاع الوهراني، كما حظيت هذه النقابة بزيارة إطارات وطنية من الجزائر العاصمة منها "صمصاجي" و"محروز بن عمار" وهما من الإطارات العليا في هذه النقابة، كما كان المناضل "فرقان عمر" من أهم قادتها.

2- نقابة القوة العمالية.F. O:

تأسست مكاتبها في المنطقة سنة 1947 وضمت 122 منخرطا إلى غاية 31 ديسمبر 1952 من أصل 400 عامل لدى شركة بحر – النيجر، ومما تجدر الإشارة إليه أن أفراد الحركة الوطنية تمكنوا من الفوز في الانتخابات النقابية والسيطرة على مكاتبها واستغلالها لصالح نشر المبادئ النضالية، أي أن هذه النقابات كانت بمثابة المنابر التي يتم فيها نشر الوعي ومبادئ الحركة الوطنية. ونشير في هذا السياق إلى فوز أربعة مناضلين جزائريين، في انتخابات المجلس الذي يسير النقابة وهم "بن جودي الشيخ" و"دحماني سليمان" و"أغلال سليمان" و"عباسي أحمد" بالإضافة إلى 11 أوربيا، ونشطت هذه النقابة سنة 1952 ونظمت أربع تجمعات عمالية عامة لانتخاب هياكلها والمطالبة بحقوق العمال.

– الأحزاب والجمعيات الاجتماعية والرياضية:

– حزب الشعب: بدأ ينشط بشكل سري في المنطقة منذ سنة 1942، ومن بين المناضلين الذين سعوا في دفع النشاط السياسي نجد "قادة بوطارين"[8] مابين شهر أكتوبر 1941 إلى فبراير 1942.

– حركة انتصار الحريات الديمقراطية:

نشطت حركة انتصار الحريات الديمقراطية التي تعتبر امتدادا لحزب الشعب، وفي منطقة الجنوب الغربي برز نشاطها جليا من خلال الاشتراكات والتجمعات ودخول منا ضليها إلى النقابات والمنظمات، وكانت القيادة العليا على المستوى الوطني تسعى إلى ربط النشاط المحلى بالوطني وهيكلته في إطار برنامج وتنظيم الحركة، ففي سنة 1946"جاء السيد "فرقان عمر" المبعوث من العاصمة من قبل مصالي الحاج الذي كلفه بربط النشاط المحلي بالهيئات العليا، حينها باشر العمل في أحد مناجم الفحم حتى يتسنى له الاتصال بالعمال دون أن يثير شكوك المستعمر، فقد بدأ يعمل في المنجم رقم 05 بالقنادسة وينشط مع المناضلين المتواجدين على مستوى المنجم أثناء العمل وبعده.

ونذكر في هذا المقام أن دائرة بشار قد ارتبطت آنئذ بولاية وهران، وقد أسندت مهمة الاتصال إلى السيد "سي محمد لخضر"، وكان مقر الدائرة بالقنادسة، التي تشرف على قسمات: بشار، بشار الجديد، القنادسة، عين الصفراء، كما شارك عدد من القادة المحليين في عدة مؤتمرات خارج الوطن مثل مشاركة "الشيخ بن جودي" و"سليمان بلخديم" في مؤتمر بروكسل 1954 مع اللجنة المركزية.

– جمعية العلماء المسلمين الجزائريين:

ظهر نشاط جمعية العلماء من خلال الجهد الذي بذله الشيخ "عبد القادر الياجوري"[9] الذي بقي في منطقة الساورة مدة 14 سنة وربطته علاقة مصاهرة مع الشيخ بن تهامي من بني عباس، ومن أعضاء جمعية العلماء الذين زاروا المنطقة نجد "إسطمبولي" و سعي كل منهما في محاولات بناء المدارس و توعية المواطنين. و نظرا للضغط المتزايد على أعضاء الجمعية من بينهم الشيخ بن توهامي، والشيخ طرابلسي، وتاوتي الصديق فقد كانوا يختفون وراء أحزاب أخرى ويتسترون وراء لافتاتها منها الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري الذي كان الضغط عليه أخف من الأحزاب الأخرى في هذه الفترة.

3– الحزب الشيوعي الجزائري .P. C. A:

عرف هذا الحزب منذ سنة 1940 وخاصة بعد وفاة أمينه العام "قدور بلقايم" في سجن جنين بورزق، وظهر نشاطه جليا سنة (1944 إلى 1949)[10]، وقد بدأ الحزب يفقد عددا كبيرا من المناضلين، وانتقل بعضهم إلى حركة انتصار الحريات الديمقراطية، وبقي ما يقارب 50 مناضلا في صفوفه نظرا لتأسيسه لمنظمة (اتحاد الشباب الديمقراطي الجزائري) Union de Jeunesse Démocratique Algérienne التي كانت تفتح النوادي الرياضية وتوظف الشباب وتدعو إلى الاندماج و التجنيس، وطريقة تعامله مع أحداث الثامن ماي 1945، مما جعلت السكان ينفرون

منه ويفضلون حركة الانتصار. ومن أهم قادة هذا الحزب "قوتبيفرGouttepifre " الذي ترشح في الانتخابات البلدية يومي 19 إلى 26 أكتوبر 1947 بالقنادسة وحصل على 154 صوتا.

– الإتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري:

برز أيضا الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري برئاسة السيد "التاوتي الصديق"[11] وكانت مقراته مفتوحة ومعروفة، كما شارك أعضاء الاتحاد في جميع الانتخابات رغبة منهم في التحرر، غير أن التقرب من الإدارة الاستعمارية ومراسلتها لم تجد نفعا مما دفع بقادة الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري إلى القيام بمجموعة من النشاطات الوطنية منها تنظيم معارض وبيع كتب الشيخ عبد الحميد بن باديس في المزاد العلني بمقر القنادسة تكريما لهذا الرجال العظيم.

– المجال الرياضي:

تأسس فريق بشار سنة 1949 وكان يضم مجموعة من أعضاء الحركة الوطنية الذين وظفوا النشاط الرياضي لخدمة القضية الوطنية، وشارك في تشكيلة الفريق "بوعزة براشد"، "زين الدين عبد القادر"، "طلحي مولاي"، "محمد ولد الساسي"، "ليمام محمد "، "بوخاري محمد" وآخرون. وتمكن الفريق من الفوز بالكأس ثلاث مرات وكانت ألبسة الفريق تحمل الألوان الوطنية، لكن الفريق تعرض للمضايقات الاستعمارية منها اعتقال بعض عناصره ومنهم قائد الفريق براشد، وأقصي الفريق من المباراة سنة 1955 لكن بعد ضغط الجماهير أدخل إلى المباراة وفاز بالكأس في هذه السنة.

– الكشافة الإسلامية الجزائرية:

ظهر نشاط الكشافة الإسلامية الجزائرية بإنشاء أول فوج الذي أطلق عليه (فوج الفتح)[12] في شهر جويلية 1943 من طرف: "بوعزة براشد"، حيمري محمد"، وكان الفضل في هذا للسيد "العرابي العرابي "في تأسيس الكشافة، وأعلن عن الفوج في أول أكتوبر تحت قيادة براشد وخلفه

حيمري محمد وبدأ ينشط في المقر التابع للزاوية في شارع القصر القديم بشار والفوج يتكون من 80 فردا كما أنشئ فوج السلام بالقنادسة في نفس الظروف بفضل فريق من الشباب والذي طالب بالانخراط الرسمي في القيادة العامة بالعاصمة في (30 أبريل 1944)،[13] وفي صيف 1944 بالرغم من عائق الحرب العالمية الثانية وتجنيد الشباب وظروف الحرب و الاستعمار القاسية، فقد أقام الفوج مخيما له في أحد شواطئ تموشنت، ومن جهة أخرى شارك فريق من 16 قائد ورواد من بشار في المخيم الوطني الذي نظم يتلمسان في جويلية 1944.

توجه الفوج للمخيم ببورساي في شهر جويلية 1946، كما شارك كل من القادة قرمود محمد وعبد الجبار محمد في المخيم التكويني للقادة بالرياض. وحظيت المنطقة بزيارة القائد "محمود بوزوزو" الذي أعطى دفعا للعمل الكشفي من خلال هذه الزيارة وتشجيعا ته لقادة الأفواج على مواصلة الدرب.

لم تمنع ظروف الاحتلال الفوج من تنظيم المخيم بمنطقة العين الصفراء فقد تأسست مقاطعة الجنوب الغربي بانضمام أفواج كل من: البيض، عين الصفراء، المشرية، القنادسة تحت قيادة "علالي قويدر"من بشار و"بوعمران الشيخ" من البيض، وفي سنة 1948 زار المنطقة محمد خيذر وحث الكشافين على بذل المزيد من الجهود، وخلال تواجده ترأس تجمعا للمناضلين بحديقة "العربي تصويري" جنوب القصر القديم ببشار وفي القنادسة عقد التجمع قرب منطقة " لا له عائشة".

وبعد نجاح السيد "باقي بوعلام" في انتخابات 04 أبريل 1948، عقدت الكشافة تجمعا بوسط مدينة بشار، وخرجت في مسيرة عبر شوارع المدينة وهم يرددون الأناشيد الوطنية أهمها نشيد "من جبالنا"، كما استدعت السلطات الفرنسية قائد فوج القنادسة المدعو "سيدي با" نظرا لرفض الفوج المشاركة في مهرجان 08 ماي 1949 الذي يمثل الذكرى الخامسة لاحتفال فرنسا بانتصارها في الحرب العالمية الثانية، وحظيت هذه الأفواج بزيارة قيادات وطنية منها "محمود بوزوزو" و"لونشي صالح" و"زينات محمد" في سنة 1951، كما تكفل القائد توهامي الشيخ أحمد

.بمجموعة من الكشافين بعد التضييق والمنع المسلط على الأفواج، لكن هو الآخر تم توقيفه في "الشعبة القديمة".

مارست الإدارة الاستعمارية سياسة التضييق على نشاط الكشافة بعد مقتل المقاول الفرنسي مراسولي Mirasoli بتوقيف القائد توهامي الشيخ أحمد، كما انخرط معظم القادة في المنظمة الخاصة، وتوقف نشاط الفوج وأغلق مقره، رغم ذلك تواصل العمل الكشفي في البيوت وخاصة في بيت القائد "بوعزة براشد" أو في منزل "السعيدي مناد"[14].

مظاهر نشاط الحركة الوطنية:

من أهم مظاهرها مايلي:

- الإضرابات:

انخرط عدد من أفراد حركة انتصار الحريات الديمقراطية في نقابة.S. G. T وكان هدف المناضلين جمع شتات العمال وتوجيههم ليدافعوا عن حقوقهم المهضومة، وتوحيد صفوفهم ليلعبوا دورهم التاريخي في طليعة المناضلين الأحرار، وتجميع الجماهير لمناهضة النظام الاستعماري، وقد أدرك ذلك بتفكيرهم الواقعي الرزين، كما تمكنوا من تنظيم الفئة العمالية وضمها إلى الحركة الوطنية، فكانت دائما في المقدمة في سبيل تحسين حالتها المادية والمعنوية وتكافح من أجل تحرير بلادها، وقد ظلوا يبشرون بأفكارهم في الأوساط العمالية ويكسبوا لها الأنصار فأعانوا بذلك على إخراج العمال من القضايا اليومية المحلية إلى النطاق الوطني.

نظم النقابة عدة إضرابات أهمها إضراب عمال السكة الحديدية سنة 1947، وإضراب 16 أبريل 1950 .بمناجم الفحم حيث قام (قام 1300عامل بالإضراب الذي لمدة ثلاثة أشهر)[15] وتمثلت المطالب في عدم غلق المنجم رقم 06، الذي يشغل 860 عاملا وكانت تهديدات العمال بالإضراب منذ 1949، وعقدت الجمعية العامة و حضرتها إطارات نقابية من المركزية على المستوى الوطني منهم "صمصاجي" و"دوباري" لكن تحت إصرار و تعنت إدارة الشركة أضاف

العمال مطالب أخرى منها: زيادة في الأجور 3000 فرنك قديم، إطلاق سراح النقابيين المعتقلين، إدراج مدينة القنادسة كبلدية كاملة الصلاحيات ويسيرها مجلس بلدي يتشكل من السكان، فقامت الإدارة الاستعمارية بتقديم المشرفين عن الإضراب إلى المحكمة التي عقدت جلستها يوم 04 ماي 1950، وصدرت الأحكام بسجن عدد من المضربين منهم: داودي محمد، خليفة بن مبارك، محمد بوجمعة، حبيب عبد الله، محمد بن لحسن و طرد (270 عاملا)، واستمرت الإضرابات في سنة 1951 وبعدها.

– المظاهرات:

مساء يوم 19 ماي 1951 نظم الوطنيون مسيرة عند مخرج قاعة سينما (ريكس) Rex [16]بشار ونادى المتظاهرون بشعارات أهمها (أطلقوا سراح خيذر)– (تحي خيذر)، و خرج الشبان متوجهين نحو وسط المدينة ليعلنوا للسلطات الاستعمارية أن حكمها الجائر على المناضلين الأبرياء وعلى رأسهم محمد خيذر باطل، لكن السلطات الاستعمارية سدت آذانها على تلك الصيحات الحزينة التي نطقت بأن كل الشعب مسجون في أرضه ويريد الخلاص. نتج عن هذه المظاهرة مقتل المعمر الفرنسي "مرا سولي" Mirasoli ، فاتخذت السلطات الاستعمارية عدة إجراءات قمعية وتفتيش واعتقالات شملت مسؤول حركة الانتصار "حناني حسين ولد محمد"[17]الذي اتهم بالقتل.

الهوامش:

1. Céard, L. Gens et choses de Colomb Bechar, tome 11, n°01, Alger, mars 1933, p. 91.
2. Archives wilaya de Bechar. L'administrateur des services civil chef de la commune mixte de Colomb Bechar. Évolution politique, 04-02-1958(non coté).
3. Archives wilaya de Bechar. Le chef de post de Kenadsa. Notice sur le post de Kenadsa, 1951(non coté).
4. HANI, Abdel Kader, Bechar et sa région entre histoire et légende , première édition ,Oran , éditions dar el Gharb, 2002. P.135.
5. Archives wilaya de Bechar. Le c.t.a.s. à C.Bechar. Monographie1953 (non coté).

6. THOMAS, Marc Robert. Sahara et communauté, première édition, Paris, presses universitaires de France, 1960, p.211.

7. Archives wilaya de Bechar. Le chef de post de Kenadsa. Notice sur le post de Kenadsa, op cit.

8. BOUTARENE. Kadda, Kaddoure (3) de Brezina au palais Bourbon itinéraire d'un militant, première édition, Alger, entreprise nationale du livre, 1990. pp.175-181.

9. المنظمة الوطنية للمجاهدين، تقرير فرع بشار الجديد، 1999.

10. HANI, AB.K. op cit, p. 145.

11. السيد التاوتي الصديق شخصية وطنية بارزة نال شهادة الدكتوراه في الاقتصاد، وشغل منصب المستشار الرئيسي لمدير بنك البركة.

12. Archives wilaya de Bechar. c. t. a. s.à C. Bechar. Monographie, 1953(non coté), op cit.

13. المحافظة الولائية للكشافة، المصدر نفسه، ص:06.

14. Archives wilaya de Bechar. Évolution politique, 04/02/1958(non coté), op cit

15. Archives wilaya de Bechar. c. t. a. s. à C. Bechar. Monographie, ibid.

16. Archives wilaya de Bechar. M. Bordier chef de la P. J. du département d'Oran. Activités nationalistes, 20 mai 1951(non coté).

17. Archives wilaya de Bechar. Le commandant du territoire d'Ain Sefra. Fiche de renseignement, 1951(non coté).

المصادر والمراجع:

– التقارير:

. تقرير فرع بشار الجديد سبتمبر 1999.

• تقرير المحافظة الولائية للكشافة (تاريخ واستمرارية)، بشار ، نوفمبر 2000.

– المصادر باللغة الأجنبية:

Archive :

1- Archives wilaya de Bechar.

- Fiches d'informations .

- M. Bordier chef de la P. J. du département d'Oran. Activité nationaliste, 20 mai 1951 (non coté).

- Le commandant du territoire d'Ain Sefra. Fiche de renseignement, 1951(non coté).

- Etudes diverses.

- Chef de post de Kenadsa. Notice sur le post de Kenadsa, année 1951 (non coté).

- Le c.t.a.s. à C. Bechar. Monographie 1953 (non coté).

- LES LIVRES :

BOUTARENE, Kadda. Kaddoure (3) de Brezina au palais Bourbon itinéraire d'un militant, première édition, Alger, entreprise nationale du livre, 1990.

• CEARD, L. Gens et choses de Colomb Bechar, tome 11, n° 01 mars 1933.

• THOMAS, Marc Robert. Sahara et communauté, première édition, Paris, presses universitaires de France 1960.

– المراجع باللغة الأجنبية:

• HANI, Abdel Kader, Bechar et sa région entre histoire et légende , première édition ,Oran , éditions dar el Gharb , 2002.